بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة:(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174)

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) أي: إنَّ اليهود الَّذين كتَموا أمر نبوَّةِ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّمَ الثابتةِ في توراتهم، وكتَموا بعض أحكام الله تعالى فيها، وبدَّلوها-كتحريمهم ما أحلَّ اللهُ عزَّ وجلَّ- يبتغون بهذا الكتمانِ نَيْلَ عَرَضٍ من حُطام الدُّنيا الفاني؛ من الأموال، والرِّئاسات، وغيرها. موسوعة التفسير

قال ابن كثير: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) يعني اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم التي بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من العرب من الهدايا والتحف ، فخشوا - لعنهم الله - إن أظهروا ذلك أن يتبعه الناس ويتركوهم ، فكتموا ذلك إبقاءً على ما كان يحصل لهم من ذلك ، وهو نزر يسير ، فباعوا أنفسهم بذلك واعتاضوا عن الهدى واتباع الحق وتصديق الرسول والإيمان بما جاء عن الله بذلك النزر اليسير ، فخابوا وخسروا في الدنيا والآخرة.

ولهذا قال تعالى: (وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً) الضمير في قوله (به) يرجع إلى الشيء المكتوم، أي: أنهم يشترون بالشيء الذي كتموه ثمناً قليلاً من متاع الدنيا، كالرشا أو المناصب أو الجاه عند أتباعهم.اللهيميد

⇦معنى اشتروا: أي استعاضوا عنه بثمن قليل من المنافع الدنيوية.

وهذه الآية وإن كانت في اليهود لكنها لا تختص بهم، فكل من كتم علماً فهو داخل في هذه الآية.

وفي الآية أن من موانع الهداية: قال الشيخ ابن عثيمين: المنحرف عن الدين وعن نشر العلم ينحرف لأحد سببين:

❶: خشية الناس، ❷: الطمع في الدنيا. ⇦قال تعالى (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا)44المائدة

⇦وسماه قليلاً لانقطاع مدته وسوء عاقبته.

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً)

(أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) أي: إنَّ جزاءَهم في الآخرة مِن جِنس ما عمِلوه في الدُّنيا، فكما أكَلوا في بطونهم ما حرَّم الله تعالى بما اكتَسَبوه من مالٍ حرامٍ؛ لكتمانِهم العِلمَ-فكذلك يُطعَمون يومَ القيامة نارًا في بطونهم؛ جزاءً وِفاقًا. موسوعة التفسير

قال ابن كثير أي: إنما يأكلون ما يأكلونه في مقابلة كتمان الحق ناراً تأجج في بطونهم يوم القيامة.

كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً) وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَنَّ الذِي يأكُلُ ويشْرَبُ في آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارَ جهنَّمَ) [تفسير ابن كثير: 92/1]

(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: لا يُكلِّمهم الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة بكلامِ إكرامٍ ورضًا يسُرُّهم؛ لأنَّه غاضبٌ عليهم، ولا يطهِّرهم من ذنوبهم، ولا يثني عليهم خيرًا؛ لأنَّ قلوبَهم وأعمالَهم دَنِسة، لا تستحقُّ المدحَ والثناء، ولهم مع ذلك كلِّه عذابٌ موجِعٌ، فجمَع الله تعالى لهم بين الألَمِ النَّفسانيِّ والجُسماني. موسوعة التفسير

لماذا خص الله البطن دون البدن مع ان المتعة بالثمن القليل تكون بجميع البدن؟

اولا: لان مكان كتم الحق كان باطنهم فلم يخرجوه الى ظاهرهم، والا كانوا انتفعوا ونفعوا غيرهم، فيصل العذاب الى سراديب اجسادهم التي حبست الحق، لأجل العرض الحقير من الدنيا، فتحرق بطونهم التي ملئها الباطل.

والثاني :لأن المؤمن كما قال الرسول يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء، قال صلى الله عليه وسلم: (بحسبِ ابنِ آدمَ أُكُلاتٌ يُقمنَ صُلبَهُ)،إذن فالأكل عند المؤمن هو لمقومات الحياة وكوقود للحركة بالحلال ، ولكن الكافر يأخذ الأكل كأنه متعة ذاتية سواء كان بالحلال او بالحرام، فكذلك يجعل الله العذاب لهم من جنس ما فعلوه ، فهم أخذوا الثمن القليل ليملأوا بطونهم وسيملأ الله بطونهم ناراً، جزاء وفاقا لما فعلوا، وهذا لون من العقاب الحسي يتبعه العقاب المعنوي هو {وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ} أي أن الله يعرض عنهم يوم لا أنس للخلق إلا برؤية وجه الله.

وهذا الحكم وإن كان خاصاً فالاعتبار بعموم اللفظ، فهو يشمل كل من كتم ما شرعه الله، وأخذ عليه الرشا. اللهيميد

قال القاسمي: قوله :أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ :فيه تأكيدُ الأكْل وتقريرُه ببيان مقرّ المأكول؛ فإنَّ فِي بُطُونِهِمْ متعلِّق بـ يَأْكُلُونَ، وذكَر بطونهم تنبيهًا على شَرَهِهم، وتَقبيحًا لتضييع أعظم النِّعم لأجْل المطعوم، وللتنبيه على مذهبهم، بأنَّهم باعوا آخرتَهم بحَظِّهم من المطعَم الذي لا خطرَ له.الدرر السنية

(وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أي: لا يكلمهم تكليم رضا، فالنفي هنا ليس نفياً لمطلق الكلام، وإلا فالله عز وجل يكلم الكفار ويوبخهم كما قال تعالى (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ) المؤمنون.

يوم القيامة، سمي بذلك

❶: لأن الناس يقومون من قبورهم، قال تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين)

❷ : ولقيام الأشهاد، لقوله تعالى (وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)

❸ : ولقيام الملائكة، لقوله تعالى (يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً ...)

⇦(وَلا يُزَكِّيهِمْ) أي: لا يثني عليهم بخير (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي: موجع، والعذاب هو: النكال والعقوبة.

⇦وهذا الوعيد الشديد لبيان خطورة كتم العلم الذي أمر الله بإظهاره ليحكم الارض بالعدل، لأنه يترتب على كتمانه ظهور المعاصي والظلم والعداوة والبغي، وفي كتمان العلم الشر المستطير وفي اظهار العلم الخير الكثير.

كما قال ابن رجب: ... وأيضًا فإن العلم إذا ظهر في الأرض وعمل به درّت البركات ونزلت الأرزاق فيعيش أهل الأرض كلهم، حتى النملة وغيرها من الحيوانات ببركته، ويستبشر أهل السماء بما يرتفع لأهل الأرض من الطاعات والأعمال الصالحات فيستغفرون لمن كان السبب في ذلك.

📝**فائدة:** وجوب نشْر العِلم؛ ويتأكَّدُ وجوب نشْره إذا دعتِ الحاجةُ إليه بالسؤالِ عنه؛ إما بلسان الحال، وإما بلسان المَقال. ابن عثيمين رحمه الله

✉قال سعيد مصطفى ذياب: أعظم نعيم لأهل الجنة رؤية الله تعالى، ومناجاته، يكفي أن يفكر المرء في ذلك مجرد تفكير حتى تغرورق عيناه بالدموع، ويذوب القلوب شوقًا لذلك.
⇦وأعظم عقاب لأهل النار أن يقصيهم الله تعالى، فَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.
⇦لو هجر الحبيب حبيبه في الدنيا لضاقت عليه نفسه، وضاقت عليه الدنيا بما رحبت، فكيف بمن أقصاه الله، وحرمه لذة مناجاته، وحجبه عن النظر إليه؟
قَالَ تَعَالَى عَنِ الْكَافِرِينَ: {كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ 15
وَقَالَ تَعَالَى: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} الْمُرْسَلَاتِ: الآية/ 35، 36

⇦فيالسوء حالهم، وهم يرون المؤمنين وقد ابيضت وجوههم، وقد غشيهم من الجمال والجلال من من نور الله ما لا يحيط به الوصف، لا يعلمه إلا الله، ولولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا من بهاء نوره، قَالَ تَعَالَى: {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ 24
⇦فشتان بين هؤلاء وأولئك، هؤلاء المقربون، وأولئك المبعدون، هؤلاء الَّذِينَ سُعِدُوا، وأولئك الَّذِينَ شَقُوا، هؤلاء أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

❁اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

📝ولَمَّا ذكَر سبحانه وتعالى جزاءهم، أتبَعه بترجمةِ حالهم

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175)

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) أي: إنَّ أولئك الَّذين وصَفهم الله تعالى بكتمانِ العلم، قد استبدلوا -بفِعلهم هذا- بطريقِ الهُدى الذي يقودُهم إلى رضوان الله عزَّ وجلَّ ونعيمِ الآخرة؛ استبدلوه به طُرُقَ الهَوَى التي أضلَّتهم عن الصِّراط المستقيم، وبفِعلهم هذا قد استبدَلوا أيضًا بنَيْلِ مغفرةِ الله تعالى استحقاقَ عذابِه. موسوعة التفسير

أُولَئِكَ المشار إليهم (الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب)

(الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) أي: (الَّذِينَ اشْتَرَوُا) أي: اختاروا واعتاضوا (الضَّلَالَةَ) وهي هنا كتمان العلم، وهو تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وكتم صفته التي في كتبهم (بِالْهُدَى) وهو نشر ما في كتبهم من صفة الرسول وذكر مبعثه والبشارة به واتباعه وتصديقه .اللهيميد

✉**قال أبو حيان:** وفي لفظ اشتروا إشعار بإيثارهم الضلالة والعذاب، لأن الإنسان لا يشتري إلا ما كان له فيه رغبة ومودة، واختيار وذلك يدل على نهاية الخسارة، وعدم النظر في العواقب.

قال الشيخ ابن عثيمين: (اشتروا) بمعنى اختاروا، ولكنه عبر بهذا، لأن المشتري طالب راغب في السلعة، فكان هؤلاء - والعياذ بالله -طالبون راغبون في الضلالة بمنزلة المشتري.

(وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) أي: واختاروا العذاب بالمغفرة، وهو ما تعاطوه من أسبابه المذكورة وهو كتم العلم. اللهيميد

(فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أي: تعجَّب اللهُ سبحانه وتعالى من أولئك القوم الَّذين كتموا وحيَ الله تعالى، كيف حبَسوا أنفسَهم ووطَّنوها على ارتكاب هذا العمل المودِي بهم إلى عذابٍ شديد، وكيف تجرَّؤُوا على هذا الصَّنيع وهم يعلَمون سوء عاقبت. موسوعة التفسير

(ما) تعجبيَّة، أو استفهاميَّة صحِبَها معنى التعجُّب؛ فهو تعجُّبٌ من حالهم في الْتباسِهم بموجبات النارِ من غير مبالاةٍ منهم. أو: فأيُّ شيءٍ صبَّرهم. موسوعة التفسير

هذه الآية للتعجب، **قال الطبري**: أي: ما أجرأهم على النار، أي: ما أجرأهم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها.

وقال ابن كثير: يخبر تعالى أنهم في عذاب شديد هائل يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال عياذاً بالله من ذلك.

قال سعيد مصطفى: بعض الناس شأنه في غاية العجب، عنده من الجرأةِ على الموبقاتِ، والإقدامِ على المحرماتِ ما لا يكاد ينقضي من العجب، يُقْدِمُ حَيثُ يُحْجِمُ الأتقياءُ، ويتكاسلُ حَيثُ يَجِدُّ الصَالِحُون، أتراه يعلم ما يعمل؟ أتراه يعلم جزاء عمله؟ إن كان يعلم ما أشد جرأته على الله !وَمَا أَصْبَرَهُ عَلَى النَّار! اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) (176)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا ذكَر جلَّ وعلا جزاءهم، ذكَر السَّبب الموجِبَ لهذا العقاب العظيم، فقال

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي: إنَّهم استحقُّوا العذابَ على كتمانِهم؛ بسبب أنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل كتابَه عليهم بالحقِّ، فحقُّه ألَّا يُكتَم، بل يبيَّن ما يحويه، وكتمانُهم شيئًا من الكتاب كتمانٌ للحقِّ، وذلك مخالِفٌ لمراد الله تعالى؛ لأنَّ ما يُكتَم مِن الحق يخلُفُه الباطلُ، فحقَّ عليهم العذابُ. موسوعة التفسير

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) أي: ذلك العذاب الذي يجازون به بسبب كتمهم للكتاب، بسبب أن الله أنزل الكتاب (الكتاب) جنس الكتب ويشمل التوراة والإنجيل والقرآن بالحق، فكفروا به واختلفوا فيه. اللهيميد

(وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ) المراد بالكتاب القرآن، والذين اختلفوا فيه هم اليهود والنصارى والمشركين، فبعضهم يقول: هو سحر، وبعضهم يقول: هو شعر، وبعضهم يقول: كهانة. اللهيميد

(وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) أي: إنَّ الَّذين آمنوا ببعض الكتاب وكفَروا ببعض؛ فكتَموا منه أشياءَ، وأظهَروا أشياءَ–قد فارَقوا الحقَّ، وجانَبوا طريقَ الصواب. موسوعة التفسير

(لَفِي شِقَاقٍ بَعِيد) أي: في خلاف بعيد عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب. اللهيميد

سعيد مصطفى ذياب: وتأمل قوله تعالى: {لفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، لتعلمَ أَنَّ مَا بينهما مِنَ الشِقَاقِ قد بلغ من الْبُعْدِ حدًّا لَا رَجَاءَ مَعَهُ لِلدُّنُوِّ والقُرْبِ.

فَلَا يَزَالُونَ مُتَبَاغِضِينَ مُتَعَادِينَ، يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ولا يجتمعون إلا على حرب الإسلام والمسلمين، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

قال ابن عثيمين: أنَّ الاختلافَ ليس رحمة، بل إنه شِقاقٌ وبلاءٌ، كما قال سبحانه وتعالى: وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

أن متاع الدنيا قليل ولو كثر خطر فتنة الدنيا، ولذلك قال

أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: (إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) رواه مسلم، فوصف النبي ﷺ الدنيا بذلك الوصفين، طعمها، ولونها يعجب الناظرين.

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21) الحديد

⇦فالدنيا حقيقتها، ليست ذات قيمة تستحق أن يتكالب عليها الناس، وأن يصرفوا أوقاتهم وأنفاسهم وأطماعهم، فتكون هذه الدنيا شغلاً شاغلاً لهم، ولهذا قال النبي ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً من شربة ماء). الترميذي

ولهذا قال النبي ﷺ: (أيها الناس اتقوا الله، وأجملوا في الطلب، فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها)، يعني: لا داعي للتهافت والتهالك عليها، اتق الله، خذه من حله، سيأتيك رزقك، لا تأخذ من هنا وهناك مما لا يحل.

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (177)

المعنى الإجمالي: أخبَرَ الله عزَّ وجلَّ أنه ليس في التمسُّك بالتوجُّه إلى ناحية المشرق أو المغرب برٌّ ولا طاعة، إنْ لم يكن عن أمْرِ الله تعالى، ولكن الخير الحقيقي هو الإيمانُ الجازم بالله تعالى، واليومِ الآخِر، وملائكتِه، وجميعِ كتبه، وكل أنبيائه ورُسلِه، وأنْ يُعطيَ العبدُ المالَ وهو محبٌّ له وحريصٌ عليه، لقرابته، ولليتامى، وللذين لا يجدون ما يَكفيهم، وللمسافر الذي يمرُّ به وليس معه نفقةٌ توصله لوطنه، وللمستجدي الذي يطلُبُ العطاء، ولأجل فكِّ الرِّقاب. موسوعة التفسير

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) أي: ليس الشَّأن في حصول الخير بلزوم التوجه في الصلاة نحو هذه الجهة أو تلك.موسوعة التفسير

قال ابن كثير : فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثم حولهم إلى الكعبة ، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك ، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل ، وامتثال أوامره ، والتوجه حيثما وجه ، واتباع ما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق إلى المغرب بر ولا طاعة ، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ؛ ولهذا قال :(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ الآية (كما قال في الأضاحي والهدايا) : (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ) (الحج : 37)

(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) أي: مَن اتَّصفَ بهذه الأمورِ الآتيةِ من الاعتقادات والأعمال والأخلاق، فقد أخَذَ بمجامعِ الخيرِ كلِّه، فأمَّا الاعتقادات فهي الإيمانُ بالله تعالى، ومن ذلك: الإيمانُ بوجوده وربوبيَّته، وأُلوهيَّته، وأسمائه وصفاتِه، والإيمانُ باليومِ الآخر، ومنه: الإيمانُ بالبَعث والحساب، والجنة والنار، وغير ذلك من أمور الآخرة، والإيمانُ بملائكة الرحمن، كالإيمان بوجودِهم

وأعمالهم وصِفاتهم، والإيمانُ بالكتب، كالإيمانِ بأنَّ نزولها من عند الله عزَّ وجلَّ، والإيمانُ بأنبيائه عليهم السَّلام، ومن ذلك: الإيمان بأنَّ رسالتهم حقٌّ من عند الله تبارك وتعالى.موسوعة التفسير

وقال الثوري:(وَلَكِنَّ الْبِرَّمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ...) قال: هذه أنواع البركلها **قال ابن كثير**: وصدق رحمه الله، فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها وأخذ بمجامع الخيركله.

فليس البر ان تكون الوجوه مستقبلة القبلة، والقلوب مستقبله الدنيا واوديتها، فالله لا ينظر الى صورنا ولكن ينظرإلى قلوبنا، وجه ساجد وقلب مستكبر، ما قدر الله حق قدره.

البر: اسم جامع للطاعات، وأعمال الخيرالمقربة إلى الله تعالى.

⇦ تبدأ آية البر بوضع الاساس الذي يبنى عليه كل خير، وهو الإيمان الذي محله القلب:

قدَّم الإيمانَ على أفعال الجوارح، وهو: إيتاءُ المال والصَّلاة والزَّكاة؛ لأنَّ أعمال القلوب أشرفُ من أعمال الجوارح، ولأنَّ أعمال الجوارح النافِعة عند الله تعالى إنَّما تنشأ عن الإيمان.

وقال شيخ الإسلام: (ثم القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال ﷺ: (أَلَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ) بخاري

وقال **أبو هريرة:** القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده.

قال ابن القيم عن أعمال القلوب -: (هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة ومتممة، وأن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية فحركة عابث، فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلها، وأحكام الجوارح متفرعة عليها).

(مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ) قال أهل العلم الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

وقال الشيخ اللهيميد قد دل على وجود الله: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

❶**أما دلالة الفطرة على وجوده:** فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه.

عن عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ (أخذ اللهُ الميثاقَ من ظهرِ آدمَ بنُعْمانَ يعني عرفةَ فأخرج من صُلبِه كلَّ ذرِّيَّةٍ ذرأها، فنثرهم بين يدَيْه كالذَّرِّ ثمَّ كلَّمَهُمْ قُبُلًا ... أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) الأعراف

❷**وأما دلالة العقل على وجوده تعالى:**فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها، لا بد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

❸**وأما دلالة الحس على وجود الله:** فإننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال تعالى: (وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ).

❹ **ودلالة الشرع على وجود الله:** فلأن الكتب السماوية كُلَّها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

أي بأنه وحده الإله لا شريك له.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

أي إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ε من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ويشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت.

(وَالْمَلَائِكَةِ) الملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

❶ : الإيمان بوجودهم.

❷ **:** الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

❸ **:** الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل، فقد أخبر النبي ε أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق.

❹ **:** الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.

(وَالْكِتَابِ) اسم جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله.

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

❶ : الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

❷ **:** الإيمان بما علمنا اسمه من عند الله باسمه.

❸ : تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

❹: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به.

(وَالنَّبِيِّينَ) أي: وآمن برسل الله كلهم من أولهم إلى آخرهم.

قال شيخ الإسلام بن تيمية: أن الرسول هو من أرسل إلى قوم كفارمكذبين، والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين بشريعة رسول قبله يعلمهم ويحكم بينهم.

والإيمان بالرسل والأنبياء يتضمن أربعة أمور:

❶ **:** الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى.

❷ : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح، وأما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً.

❸ : تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

❹ : العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ε .

(وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ)

أي: ومِن الأعمال الدَّاخلةِ في مسمَّى البِرّ: أنْ يُعطيَ العبدُ المالَ وهو محبٌّ له وراغبٌ فيه، فيدفعه صدقةً لأقاربِه، وللصِّغار الَّذين فقدوا آباءهم وهم دون البلوغ ولا كاسبَ لهم، وللمساكين الَّذين لا يجِدون ما يَكفيهم ويُغْنيهم، وللمسافر المجتاز يريد نفقةً تُوصلُه لموطنه، وللطَّالبين حاجةً ممَّا يعرضُ لهم مِن سوء، ولعِتْق الرِّقاب ونحوها.موسوعة التفسير

✉قال سعيد مصطفى ذياب: تأمل كيف قرن الله تعالى بين الصدقة وأركان الإيمان في هذه الآية، وما ذلك إلا لعظيم أجر الصدقة، ومنزلة المتصدق عند الله تعالى.

✉لا سيما إذا كان ما يتصدق به محبوبًا للنفس، مرغوبًا فيه؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ 92

✉ولأن الصدقة دليل على إيمان المتصدق ألم تسمع إلى ما قَالَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ -أَوْ تَمْلَأُ -مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ....». رواه مسلم

✉لا شك أن تقديم ما يحبه الله تعالى على ما تحبه النفس أدل دليل على صدق الإيمان.

✍الترتيب في الإنفاق، فأولى من يتفقده الإنسان بمعروفه أقاربه، ثمَّ اليتامى؛ لأن مواساتهم بعد الأقارب أولى، ثمَّ المساكين الذين لا مال لهم حاضرًا ولا غائبًا، ثمَّ ابن السبيل الذي قد يكون له مالٌ غائب، ثم السائلين الذين منهم صادقٌ وكاذب، ثم ذَكَرَ الرِّقاب الذين لهم أربابٌ يَعُولُونهم، فكلُّ واحدٍ ممن أُخِّر ذكره أقلُّ فقرًا ممن قُدِّم عليه.الدرر السنية

(وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) أي أخرجه وهومحب له راغب فيه، جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وتَأْمُلُ الغِنَى، ولَا تُمْهِلُ حتَّى إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا وقَدْ كانَ لِفُلَانٍ.صحيح بخاري

وهذه الآية مثل: قوله تعالى:(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) الإنسان

✍فقوله تعالى (عَلَى حُبِّهِ) على حب المال، هذا القول هوالصحيح، وهوقول الأكثر، خلافاً لمن قال إن الضميرفيقوله (على حبه) يرجع إلى الله، وتشمل الصَّدَقَةَ الْوَاجِبَةَ والتَّطَوُّعَ.اللهيميد

قال تعالى (لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (92) ال عمران

وقال تعالى (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)9الحشر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها) " رواه مسلم

✍**وقال السعدي:** بيَّن به أن المال محبوب للنفوس، فلا يكاد يخرجه العبد، فمن أخرجه مع حبه له تقرباً إلى الله تعالى، كان هذا برهاناً لإيمانه.

📝كلما امتلئ القلب بالايمان بالله واليوم الاخر، فاض على الجوارح، فيصبح العبد لا يرى الا رضى الله، ففي حديث عائشة – رضي الله عنها: "أنَّهم ذبحوا شاةً فقالَ النَّبيُّ ﷺ ما بقيَ منْها؟ قلت ما بقيَ منْها إلَّا كتفُها، قالَ: بقيَ كلُّها غيرَ كتفِها" صحيح الترميذي

📝فكان حبه ﷺ لما يحب الله أعظم من حبه لنفسه، فرأى الباقي معاملته لله وطاعته فيما يحب سبحانه، والفاني ما كان للنفس، وهذه التربيه الواجب اتباعها، لتحقيق التوحيد.

📝وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى (لَنْ تَنَالُواالْبِرَّحَتَّى تُنْفِقُوامِمَّا تُحِبُّونَ) فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه. (تفسيرالسعدي)

✉ كانَ أبو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدِينَةِ مَالًا مِن نَخْلٍ، وكانَ أحَبُّ أمْوَالِهِ إلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وكانَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ مِن مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هذِه الآيَةُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92] قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقَالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى يقولُ: {لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حتَّى تُنْفِقُوا ممَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: 92] وإنَّ أحَبَّ أمْوَالِي إلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أرْجُو برَّهَا وذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يا رَسولَ اللَّهِ حَيْثُ أرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: بَخٍ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذلكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ، وإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبِينَ.صحيح بخاري

✉عبد الله بن عمر رضي الله عنه: حضرتني هذه الآية :(لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) فذكرت ما أعطاني الله، فلم أجد شيئا أحب إلي من جارية رومية، فقلت، هي حرة لوجه الله.

وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ (ذَوِي الْقُرْبَى) وهم قرابات الرجل، وهم أولى من أعطي من الصدقة كما ثبت في الحديث (إنَّ الصَّدقةَ على المسْكينِ صدقةٌ وعلى ذي الرَّحمِ اثنتانِ صدَقةٌ وصِلةٌ) رواه الترمذي، فهم أولى الناس بك وببرِك وإحسانِك، وقدأمرالله تعالى بالإحسان إليهم في غيرموضع من كتابه العزيز.

(وَالْيَتَامَى) هم الذين لا كاسب لهم، وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب.

(وَالْمَسَاكِينَ) وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم، فيعطون ما تسد به حاجتهم وخلتهم.

قيل: سمي المسكين بذلك لأن الفقر أسكنه، **وقيل:** سمي بذلك لأنه ساكن إلى الناس من أجل أن يجد كفايته.

(وَابْنَ السَّبِيلِ) وهو المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته، فيعطى ما يوصله إلى بلده، وكذا الذي يريد سفراً في طاعة الله، فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه.

⇦وابنُ السَّبيلِ اصطلاحًا: هو الغريبُ الذي ليس بيَدِه ما يرجِعُ به إلى بَلَدِه، وإنْ كان غنيًّا فيها.

(وَالسَّائِلِينَ) وهم الذين يتعرضون للطلب، فيعطون من الزكوات والصدقات .

✉وبعض الناس اليوم لا يبالون بهذا الأمر، فتراهم يسألون الناس وعندهم ما يكفيهم، ويدفعهم لذلك الطمع والشره إلى المال، والعمل على تحصيله وجمعه من أيّ وجهٍ كان وقد توعَّد النبي ﷺ هؤلاء بالنار فقال عليه الصلاة والسلام «مَن سَأَلَ النَّاسَ أمْوالَهُمْ تَكَثُّرًا، فإنَّما يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أوْ لِيَسْتَكْثِرْ» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «من سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة خدوشًا أو كدوشًا في وجهه» (رواه أحمد وصححه الألبانى).

(وَفِي الرِّقَابِ) وهم المكاتبون الذين لايجدون ما يؤدونه في كتابتهم (والمكاتب: العبد إذا اشترى نفسه من سيده بمبلغ من المال على أقساط معلومة)، ويدخل في الرقاب إعتاق العبيد ابتداء، وكذلك يدخل فيه فك الأسارى.اللهيميد

(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ) أي وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي .

⇦والمعتبرإقامتها بخشوعها وأركانها ليس فقط فعلها جسدياً من غيرخشوع. اللهيميد

(وَآتَى الزَّكَاةَ) أي: وأعطى الزكاة الواجبة.

والزَّكَاةَ: هي قدرواجب فيم المخصوص لطائفة أوجهة مخصوصة بشروط مخصوصة، وسميت بذلك لأنها تزكي المال وصاحب المال (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ...)103التوبة

مصارف الزكاة الواجبة :(إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (60) التوبة

✉ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين قبل ذلك، إنما هو التطوع والصلة.

(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) أي: ويوفون بالعهود ولايخلفون الوعود.اللهيميد

وقال تعالى (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) الرعد

⇦وعكس هذه الصفة النفاق كما في الحديث أنه قال ﷺ (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا وعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ) صحيح بخاري.

(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ) أي في حال الفقر. اللهيميد

✉**والبأس يطلق في القرآن على (3) إطلاقات:**

⇦بمعنى العذاب: كقوله تعالى (لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ...)2الكهف وقوله (فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا) غافر29

⇦وبمعنى القتال والمعركة: كقوله تعالى (وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا) (18) الأحزاب

⇦وبمعنى: الفقر والضيق: كقوله تعالى (مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ) البقرة.

قال السعدي: أي: الفقر، لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل لغيره.

قال السعدي: فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن أكل طعاما غير موافق لهواه تألم، وإن عرى أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم، فكل هذه ونحوها، مصائب، يؤمر بالصبر عليها، والاحتساب، ورجاء الثواب من الله عليها....

قال ﷺ (يا مَعْشَرَ الفقراءِ! أَلَا أُبَشِّرُكم؟ إنَّ فقراءَ المؤمنينَ يَدْخُلُونَ الجنةَ قبلَ أغنيائِهم بنِصْفِ يومٍ: خَمْسِمَائَةِ عامٍ) صحيح الجامع

(وَالضَّرَّاءِ) وفي حال المرض والأسقام، وخصوصاً مع تطاول ذلك، لأن النفس تضعف، والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة على النفوس، فإنه يؤمر بالصبر، احتساباً لثواب الله.اللهيميد

(وَحِينَ الْبَأْسِ) أي: في حال القتال والتقاء الأعداء.

قال السعدي: لأن الجلاد، يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع الإنسان من القتل، أو الجراح أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتساباً، ورجاء لثواب الله الذي منه النصر والمعونة، التي وعدها الصابرين.

✉ينبغي الصَّبرُ على جميع أنواع الضُّر، وقد استوعبتْ هذه الجملة (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ) جميعَ أنواع الضرِّ؛ لأنَّه إمَّا يحتاج إلى الصبر في شيءٍ يَعوزُ الإنسانَ أو يُريده فلا يناله، وهو البأساء، أو فيما نال جِسمَه من أَلَمٍ وسقمٍ، وهو الضرَّاء، أو في مدافعةٍ مُؤذيةٍ له، وهو البأس.الدرر السنية

⇦ونص على هذا الصبرفي هذه المواضع لصعوبته وشدته.

✉**قال خالد السبت:** إما أن يكون لما يقع للإنسان من حاجة، فهو يتضور من الجوع والفقر، فيحتاج إلى صبر، ولا يحسد أحدًا لما أعطاه الله -تبارك وتعالى-ولا يتسخط على ربه، ولا يسوء ظنه بالله ويقول: أفقرني وأعطى غيري، فهذا من سوء الظن بالله، ومن التسخط.
⇦وكذلك أيضًا حال الضراء وهو المرض، فالله -تبارك وتعالى-هو الذي اختار لعبده هذا الضر، وساق ذلك له عن علم وحكمة، فما عليه إلا أن يصبر، وهذا الجزع والتسخط لن يرد مفقودًا، ولن يجلب أيضًا مطلوبًا، وإنما يفقد به أجره عند الله -تبارك وتعالى-فيحتاج العبد إلى أن يوطن نفسه على الصبر في الشدائد بأنواعها، وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله: كالحر والبرد، لا بد منه، في بعض أوقات السنة يكون الحر، وفي بعض الأوقات يكون البرد، وفي بعضها يكون الاعتدال.
✉وهكذا يقلب الله خلقه وعباده بهذه الأمور، فمن الناس من ينكشف وينكسر في حال الشدة، ومنهم من ينكشف في حال الرخاء، والله -تبارك وتعالى- يبلو عباده بالشر، كما يبلوهم بالخير، فمن الناس من يصبر على الضراء، ولكنه لا يصبر على السراء، ومنهم عكس هذا، فيُقلَّبون (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) سورة الملك:2 (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [سورة الأنبياء:35] نبلوكم: أي نختبركم، فإذا عرف المؤمن مثل هذا، فإنه يُوطِّن نفسه، ويتلقى ذلك عن الله -تبارك وتعالى- وهو الرحيم العليم الخبير الحكيم بنفس رضية، وهذه الحياة من أولها إلى آخرها قصيرة، تمر على الصحيح والعليل، وعلى المكروب وعلى أصحاب النعم والرخاء، كأنها أحلام، ولو تأمل المبتلى لعلم أن أيام العافية أطول وأكثر، وأن الله -تبارك وتعالى- قد ساق إليه من أنواع النعم واللذات ما لا يقدر قدره، ولكن الإنسان ضعيف، فإذا حصل له المكروه نسي هذه الأيام المتطاولة في النعم، وضاقت الدنيا بعينه، وهذا لقلة صبره، والله المستعان.خالد السبت
(أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) أي هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات، هم الذين صدقوا في إيمانهم، لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فهؤلاء هم الذين صدقوا.

⇦ أن الصدق ليس بالدعاوى ولكن بالعمل والفعل.

(وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات.اللهيميد

📋**قال خالد السبت** : (أولئك) أشار إليهم بالبعيد لعلو مرتبتهم، وشهد لهم أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فهؤلاء هم أهل الصدق فعلاً في الإيمان، ولم تكن دعوى الإيمان مجرد دعوى يقولونها بألسنتهم، ولكنهم حققوا ذلك بقلوبهم وجوارحهم أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ فأعاد الإشارة إلى البعيد (وأولئك) وجاء بضمير الفصل بين طرفي الكلام لتقوية النسبة وَأُوْلَئِكَ هُمُ ودخلت (أل) على الخبر الْمُتَّقُونَ يعني كأنهم الذين حققوا الوصف الكامل من التقوى، فمن أراد أن يتحقق بالصفات الكاملة، وأن يترقى في سلّم العبودية في أعلى مراتبه فعليه أن ينظر في هذه الأوصاف، ويعرض نفسه عليها، وانظر إلى هذا الترقي الذي أشرت إليه في هذه الآية في قضايا الإيمان، وقضايا الإحسان، وقضايا الصبر الذي هو حبس النفس.